الحركات الاسلامية في فلسطين

د. خيرالدين عبد الرحمن

بعد أكثر من عقدين ونصف العقد على انطلاق العمل الفدائي الفلسطيني، وقيام منظمة التحرير الفلسطينية قبل شهور من انطلاقه في منتصف الستينات، والاصرار على متابعته عقب هزيمة حزيران (يونيو) من العام ١٩٦٧، ورغماً عنها، وهو ما خط مسار العمل الفلسطيني اثر قرابة عقدين من الحيرة والانتظار والتشتّت منذ الاحتلال الصهيوني لمعظم فلسطين العام ١٩٤٨، جاءت مشاركة الحركات الاسلامية الفلسطينية في مقاومة الاحتلال عبر صيغها التنظيمية، التي ابتعدت، قبلاً، من تشكيلات منظمة التحرير الفلسطينية، ليثير ردود فعل ومحاولات تقويم وتفسير متباينة. ونستطيع ان نستذكر أبرز عناوين ردود الفعل هذه بتبيان انها تراوحت بين ترحيب احتفالي لدى البعض، وبين سلبية لدى البعض الآخر، ازاء مبدأ تبلور مشاركة فاعلة للتيار الاسلامي في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي وفي العمل السياسي الفلسطيني عموماً، أو التحذير من رد الفعل المسيحي الفلسطيني وقيام حركة المقاومة المسيحية (حمام) ليوازن «حماس»، بما يشرذم الصف الفلسطيني ويضفي طابعاً طائفياً على المقاومة. وقد ربط بعض من قوّموا هذه الظاهرة بين قيامها ونموها وبين تصاعد الحركات الاسلامية في أقطار عربية عديدة، وردّ الامر الى نجاح التيار الاسلامي في ايران بالقضاء على نظام الشاه القوي، المدعوم والمحمي باميركا في حينه، دون تردّد في التلميح بأنه ربما كان لايران دورها المباشر في نشوء هذه الظاهرة، وهو تلميح أثبتت الايام خطله في اعتقادنا.

ومع تصاعد نشاط حركات المقاومة الاسلامية الفلسطينية، ووضوح ملامح حجمها، وفاعليتها، دونما تهويل أو تهوين، ومع تباين علاقات هذه الحركات بالقيادة الفلسطينية في تونس، وبالقيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة أيضاً، تركّز اهتمام أوساط كثيرة على طبيعتها وبنيتها ودورها المستقبلي. الّا ان هدف هذه الدراسة يتجاوز ذلك الاهتمام ليبحث في موقع هذه الظاهرة في سياق التطوّر الاجتماعي، والسياسي، والنضالي، للشعب الفلسطيني.

وهنا نعدّد أبرز هذه الحركات بايجاز، تمهيداً لفتح باب دراسة ظاهرتها بتمعّن يبتعد من الاحكام المسبقة الجاهزة والرؤية المتعجلة، خاصة وان تجذّر هذه الظاهرة، وممارسة أشكال المقاومة المختلفة في اطارها الواسع، وتنوّع المعالجة الفكرية والسياسية لتنظيماتها المتزايدة، على الرغم من العنوان الاسلامي الذي يجمعها، وتزايد التخوّف الاسرائيلي ـ وغير الاسرائيلي ـ من هذه الظاهرة، منذ حذّر المستشار السابق لرئيس حكومة اسرائيل، موشي شارون، من ان «المساجد هي الخطر الحقيقي على اسرائيل»؛ كل هذا يلحّ على أهمية درس أبعاد هذه الظاهرة وآثارها في الصراع الذي نجم عن الغزو الصهيوني لفلسطين، وكذلك استشراف مستقبل دور هذه الظاهرة.

«حماس»: تعود حركة المقاومة الاسلامية في جذورها الى جماعة الاخوان المسلمين التي